لذلك، وفي ضوء المعطيات الدولية وتوجّه العالم، عموماً، الى البحث عن الاستقرار، يصبح الرفض العربي للمشاركة في العملية السياسية نوعاً من الانتحار السياسي الذي يضفي قدراً كبيراً من الشرعية على الادعاءات الصهيونية القائلة برفض العرب لمبدأ السلام والاستقرار. وهذا ما يجعل موقف القوى العربية المؤيدة للعملية السياسية موقفاً أكثر واقعية وتجاوباً مع الارادة الدولية. امّا في ضوء العلاقة الاسرائيلية ـ الاميركية والاستراتيجية الاميركية في المنطقة العربية، فان الموافقة العربية على المشاركة في العملية السياسية تعني ان النجاح في تحقيق الاهداف، في صورة ناجزة، أملاً بعيد المنال، ولكن مع ادراك حقيقة تعذّر امكانية البقاء خارج العملية السياسية الحالية من جهة، وادراك حقيقة تعذّر نجاح تلك العملية في تحقيق بعض المطالب العربية من جهة اخرى. وبذلك تصبح المشاركة «شراً لا بدّ منه»، ووجهاً جديداً من وجوه الصراع مع الصهيونية، واداة للتعامل مع الاستراتيجية الاميركية في عصر تربعها على عرش القمة الدولية.

يعتمد العقل الغربي عامة، والاميركي خاصة، في عمله في المجالين السياسي والاقتصادي على مفهومين واضحين: تعظيم الفوائد عندما يكون الربح ممكناً، وتقليل حجم الخسائر عندما تكون الخسارة حتمية. وهذا يعني انه عندما يكون في موقع يسمح له بتحقيق المزيد من المكاسب، فان العملية بالنسبة له تصبح عملية لتعظيم الفوائد والعائدات، وهي عملية لا حدود لها ولا محدّدات لاخلاقياتها. امّا عندما يكون في موضع يفرض عليه تكبّد المزيد من الخسائر، فان العملية بالنسبة له تصبح عملية لتقليل حجم الخسائر، من دون اعتبار حقيقي لأخلاقيات التعامل مع الغير او مراعاة قضايا الحفاظ على الكرامة والتمسّك بالقيم والمبادىء. وحيث ان قرار تعظيم الفوائد لا حدود له ولا محدّدات لأخلاقياته، فانه، عادة، لا يحقق أقصى أهدافه في النزاعات الدولية الاّ بالقضاء على مقوّمات قوة الخصم والغاء وجوده الفاعل. وفي المقابل، لا تتوقف عملية تقليل حجم الخسائر عند حدود القيم أو المبادىء، اذ تستمر عملية التراجع، عادة، في حال تصاعد الضغوط الخارجية حتى درجة الافلاس الكامل.

وبناء على هذا الاطار في الفهم والتحليل، يبدو التحالف الاميركي ـ الاسرائيلي، في الوقت الراهن، في وضع قويّ مميّز يسمح له بتعظيم حجم الفوائد، بينما يبدو العرب في وضع لا يسمح لهم الاّ بتقليل حجم الخسائر؛ اذ ان انهيار الاتحاد السوفياتي، وتحجيم قوة العراق العسكرية، وتعرية النظام العربي بشقيه القطري والاقليمي أدّت، في مجموعها، الى دخول العالم عصر الامبراطورية الاميركية، واتجاه اسرائيل الى فرض نفسها وصياً على المنطقة العربية. وفي الواقع، يبدو الخلاف الرئيس بين الطرفين، الاميركي والاسرائيلي، في ما يتعلّق بالمباحثات السياسية يدور حول تعريف النقطة التي تضمن تعظيم المكاسب لكلا الجانبين. ولمّا كانت مكاسب التحالف الاميركي ـ الاسرائيلي تعكس، في حقيقتها، حجم الخسائر العربية، فان نقطة تعظيم مكاسب الطرف الاول تعني تعريف حجم اقصى ما يمكن ابتزازه من الطرف الثاني.

وتشير المعطيات الى ان الولايات المتحدة الاميركية ترى ان عملية تعظيم المكاسب لا بدّ ان تأخذ في اعتبارها الاحتياجات الاميركية في المدى البعيد، بينما تميل خطة العمل الاسرائيلية الى اعطاء الأولوية لاحتياجات اسرائيل في المدى المنظور. ولذلك فان المرحلة الحالية، بالنسبة الى واشنطن، هي افضل المراحل في البحث عن حل نهائي يشمل على ترتيبات اقليمية وسياسية وامنية في المنطقة، وينطوي على تصفية بؤر التوتر، لأن الفشل في ذلك سوف يفسح في المجال لسيطرة القوى